الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤-٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابناً لابنةِ فِرعَون* مختاراً الشَّقاءَ مع شعبِ اللهِ على التّمتُّع الوقتيِّ بالخطيئة* ومُعتبراً عارَ المسيحِ غنًى أعظمَ من كُنوزِ مِصر. لأنَّه نظرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النار ونَجوا من حَدِّ السَّيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحَصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون

الأرثوذكسيّة

لا تفهم الكنيسة عبارة «أرثوذكسيّة» بمعنى المذهب الذي يقابل سواه من الملل أو المذاهب، أو بمعنى الإيديولوجيّة الدينيّة التي تقارب الحقيقة بأكثر موضوعيّة من سواها. الأرثوذكسيّة في رؤية الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة هي عبادة الله والسجود له «بالروح والحقّ»، لأنّ الله «الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» (يو ٤: ٢٣). الأرثوذكسيّة دعوة للإنسان والجماعة المؤمنة إلى الاتّحاد بمشيئة الله عبر تقصّي أحكامه في حنايا تاريخ الإنسانيّة منذ آدم حتى مجيء المسيح الثاني الذي ننتظره بشوق، واستلهام خبرة القدّيسين في معرفة الله والإلتصاق به.

الأرثوذكسيّة عودة إلى جذور الإيمان ومنابعه الأولى، أي خبرة الأنبياء في تلقّف الحقائق الإلهيّة المعلَنة بالروح القدس، والنطق بكلام الربّ الإله قدّوس إسرائيل. هي ارتقاء النَّفس، مثل موسى على جبل سيناء، لتسلّم الوصايا الخلاصيّة ومعاينة من «لا أحد يرى وجهه ويعيش» (٣٣: ٢٠). هي حركة وصعود مستمرّان من أجل الولوج في عمق نور التجلّي والظهور الإلهيّ كما خَبِرَهُ أصفياء الله وأنبياؤه الذين أرضَوه بأعمالهم.

الأرثوذكسيّة استلهامٌ غير منقطع لاجتماع الرسل في عليّة العنصرة، حين سكب الربُّ روحه الكلّيّ قدسه على تلاميذه الأطهار فأظهرهم «غزيري الحكمة» و«صيّادي الناس» بقوّة شهادة كلامهم، واقتدار أفعالهم، والأشفية الكثيرة، والآيات التي تشهد لحضور الروح القدس المالئ لكيانهم والملهِم لفكرهم وتعليمهم وكرازتهم.

العدد ٢٠١٩/١١

الأحد ١٧ آذار

الأحد الأول من الصوم

(أحد الأرثوذكسية)

تذكار البار ألكسيوس رجل الله

اللحن الأول

إنجيل السَحَر التاسع

الأرثوذكسيّة خبرةُ تنقٍّ بالنِّعمة الإلهيّة الراحضة أدناسَ الزلّات والآثام. هي منهاجٌ للتوبة سَلَكَهُ آباؤنا القدّيسون حين عقدوا العزم على الرجوع إلى الله، ونبذِ ما لا يرضيه، والإستنارةِ بمشيئته، والعيشِ في طاعته حتّى النهاية. هي رجوعٌ صادقٌ إلى النَّفس، حيث يدرك المرء فقره الروحيّ واتّساع الهوّة التي تفصله عن محبّة الله والشركة الحقيقيّة معه، بسبب خطاياه الكثيرة وتغرّب فكره عن الإنجيل.

الأرثوذكسيّة تطلّعٌ دائمٌ إلى الحقائق التي وراء الصورة. هي اعترافٌ منّا بأنّ القدّيسين المصوَّرين في الأيقونات هم بالحريّ ينظرون إلينا وينتظرون جهادنا وتوبتنا وعودتنا، بالصوم والصلاة والطاعة لوصايا الربّ، إلى بيت الآب وإلى غاية حياتنا الحقيقيّة أي معرفة الله.

الأرثوذكسيّة تخطّ للأوهام، رفضٌ للسجود للخليقة دون الخالق، نبذٌ لكلّ ما هو زيفٌ ورياءٌ وتمثيلٌ وقناعات باطلة. هي يقظة روحيّة قوامُها الحرصُ على الإهتداء بتعليم الكنيسة والإغتذاء بأسرارها وتقليدها الشريف ونواميسها الروحيّة التي تختلف عن نواميس الناس ومعتقداتهم الدهريّة.

الأرثوذكسيّة انفتاحُ القلب على الآخر الذي يصير في وقت الضيق «قريبي» (لو ١٠: ٢٥). هي استعدادٌ دائم لاستقبال المطرودين والمنبوذين ومَن لا سقفَ لهم. هي إحسانٌ متواضع يقوم على إفراغ الذّات من أجل الآخر. هي القلب الخاشع والمتواضع والكلّيّ الرأفة، الذي يتحرّك إزاء أيّ ألمٍ في الخليقة، ويسكب أحشاءه مثل المسيح لمعونة المضنيّين وتعزية البائسين، وافتقاد المحتاجين والذين هم في ضيقٍ أو اضطرابٍ أو شدّة.

الأرثوذكسيّة دخولٌ، مثل آباء الكنيسة، في حوار رصين مع ثقافة العصر وأفكاره وأوهامه وتطلّعاته، لا للإنجرار إلى مزالق العصر بل «هادمين ظنونًا وكلّ علوٍّ يرتفع ضدّ معرفة الله، ومستأسرين كلّ فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو ١٠: ٥). هي جرأةُ الواثقين بمعلّميهم وآبائهم، وبالإله الحيّ الحاضر في شركة الكنيسة، الذي يقوّيهم، ويوضح لهم «غوامض حكمته ومستوراتها» (مز ٥٠)، والذي ما زال يفتقد كنيسته ويلهمها كما كان، لأنّه «هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨)، وهي الإحترام للمختلفين، والفرح بالحقّ وحده.

الأرثوذكسيّة تغرّبٌ كامل عن منطق التكسّب والتنافس والربح والإلتصاق بالمادّة والإستهلاك. هي دعوة إلى ما هو أبعد من المادّة والربح الآنيّ، ومعطيات الظروف الراهنة المنظورة الشديدة التقلّب والتبدّل. هي زهدٌ بما لا نفعَ له، ما يملأ العين ويفرغ القلب أو يفقر النّفس.

الأرثوذكسيّة رجاءٌ حيٌّ لا ينقطع، ثقةٌ كاملة بأمانة الربّ، وتسليمٌ من دون قيد أو شرط لمقاصد العناية الإلهيّة. هي إيمانٌ لا يتزعزع بجدوى الإتّكال على الله والتماس معونته حتّى حين يبدو للأكثرين أنّ الظلمة باتت كثيفة وأنّ أمل النجاة بات مستحيلًا. هي الصبر المُجدي، الذي يُثمر، بالتأنّي وبالإتّكال الراسخ على رحمة الله، «ثلاثين وستين ومائة» (مر ٤؛ مت ١٣).

أمام جمال الأرثوذكسيّة، نشعر كم أنّنا صغارٌ ومقصّرون، كم أنّنا بحاجة ماسّة اليوم إلى التوبة العميقة التي تجعل الإنسان شاهدًا لله ومذيعًا لمجده. ندرك أنّنا شردنا «كالخروف الضالّ» (مز ١١٩: ١١٧) وتُهنا عن صفاء الرؤية الكنسيّة السليمة، رؤية القدّيسين، وبتنا بحاجة جدّيّة إلى إعادة النّظر في أحوالنا وأولويّات حياتنا.

هذا هو ما تُذكّرنا به الكنيسة في هذا الأحد الأوّل من الصوم الأربعينيّ المقدّس، لكي نتحسّس من جديدٍ حاجتنا إلى التوبة والتغيير، فنلتجئ، بعزم وشجاعة وثقة، إلى معونة الربّ القادر بعزّة سلطانه الإلهيّ أن يبدّد ما في نفوسنا من سُحُبٍ مظلمة، فندخل

ذاقوا الهُزءَ والجلدَ والقيودَ أيضاً والسِّجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جُلودِ غنمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* (ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضَلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوعُ الخروجَ إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة أندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ

فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللـه أنتَ مَلِكُ إسرائيل* أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةَ اللـه يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

إن القديسين هم مَن «قهروا الممالك وعمِلوا البر ونالوا المواعد».

إن سِير هؤلاء هي فردوس الله في عدن (تك ٢: ٨)، المزركَش والمزيَّن لا بزروع مادّيةٍ بل بثمار الروح. فثمّة نسمة حياةٍ فيه تفوح بأطيابها، فيه الحيّة لا تجرح بل جُرحت، ولم تُبعَد عنه بل قُذفت، كما كان لائقاً. إن كان ملكوت السموات في داخلكم (لو ١٧: ٢١) حسب قول الرب، فذاك الذي يدعو سِيَر الآباء ملكوت السموات لا يُخطئ، لأن إلهنا الصالح فيه يستريح، في فرح حمل الله مع أنبيائه ورسله وأبراره القدّيسين، يومَ قيامته المجيدة.

القدّيس كيرللّس الأورشليميّ

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ١٨ آذار للقدّيس كيرللّس الأورشليميّ. وُلد قدّيسنا من أبوَين مسيحيَّين في مدينة أورشليم حوالى العام ٣١٥. عندما بلغ سنّ الرشد، تنسَّك متوحّدًا في بيتٍ منعزل، وقد التهب قلبه بمحبّة الله وكرّس كلّ وقته للعبادة والتأمّل ودراسة الكتاب المقدّس. كان يخرج من خلوته فقط ليقصد الكنيسة للصلاة. إختبر حياة السهر والجهاد الروحيّ والقراءة والتأمّل ليتعلّم الحكمة السماويّة.

سامه القدّيس مكاريوس أسقف أورشليم كاهنًا حوالى العام ٣٤٨، موكلاً إليه مهمّة إعداد الموعوظين للمعمودية. إثر وفاة مكاريوس، نادى الشعب بكيرللّس خلفًا له. سيم أسقفًا على أورشليم عام ٣٥٠ بمساعدة أكاكيوس أسقف قيصريّة فلسطين، وبتروفليس، اللّذَين كانت لهما ميول آريوسيّة. لا نعرف لماذا قَبِلَ أكاكيوس الآريوسيّ بكيرللّس أسقفًا، إلاّ أنّ ثمّة مَن يظنّ أنّه «لم يحصل على كرسيّه إلاّ بعدما وعد بالإنضمام إلى الآريوسيّين». آخرون قالوا إنّ كيرللّس كان رجل سلام، وديعًا متواضعًا، منشغلاً عن الجدل العقائديّ ببنيان المؤمنين. لهذا، اجتنب استعمال اللّفظة الجدليّة في ذلك الزمان «Omoousios» أي «المساوي للآب في الجوهر». هذا التحفّظ المقصود لأسباب رعائيّة حمل الآريوسيّين على الظنّ بأنّه في صفّهم، فلم يقفوا في وجهه حين نودي به أسقفًا.

يُذكر أنّ أمرًا غريبًا حدث بعد سيامته الأسقفيّة: صباح أحد أيّام العام ٣٥١، ظهر صليب من نور في السماء أشدّ لمعانًا من الشمس وتعلّق فوق جبل الجلجثة وامتدّ إلى جبل الزيتون وظلّ ساعات طويلة حتّى رآه جميع سكّان أورشليم، فتدفّق الكلّ نحو الكنيسة مسبّحين الله، وقد ارتجّت المدينة لهذا المنظر فبادر القدّيس كيرللّس إلى كتابة رسالةٍ إلى الإمبراطور يصف له ما حدث.

أراد أكاكيوس اجتذاب القدّيس كيرللّس إلى التعاليم الآريوسيّة، لكنّه رفض وقاوم الآراء الآريوسيّة علنًا. أسرع أكاكيوس إلى عقد مجمع اتّهم فيه كيرللّس بتبديد أموال الكنيسة والخلط بين الأقانيم الثلاثة في تعاليمه عن الثالوث القدّوس. أدّى هذا المجمع إلى تجريده من أسقفيّته ونفيه بموافقة الإمبراطور قسطنس الموالي للآريوسيّة. نجح الآريوسيّون ثلاث مرّات في إبعاد كيرللّس عن كرسيّه بين العامين ٣٥٧ و٣٧٨. عندما استلم ثيودوسيوس الكبير دفّة الحكم، نَعِمَ القدّيس كيرللّس بالسلام والإستقرار في أسقفيّته ورعاية شعبه، ثمّ رقد بسلام عام ٣٨٦.

أهمّ ما وَصَلَنا من مؤلّفات القدّيس كيرللّس عظاته الأربع والعشرون التي ألقاها على الموعوظين وعلى المعمّدين الجدد في بداية حياته الرعائيّة سنة ٣٤٨. أُلقيت هذه العظات في كنيسة القيامة، في القدس، وهي من أثمن ما وَصَلَنا من تلك الحقبة. تُقسم هذه العظات إلى قسمين. العظات الثماني عشرة الأولى أُلقيت على الموعوظين: تهتمّ العظة الأولى حتّى الخامسة بالإستعداد للمعموديّة، فتخاطب الموعوظين عن كيفيّة التهيئة للإستنارة المقدّسة وعن التوبة وأهمّيّتها في

حياة الإنسان المسيحيّ. أمّا العظات السادسة حتّى الثامنة عشرة فيشرح فيها دستور الإيمان النيقاويّ–القسطنطينيّ مواجهًا الآريوسيّة.

القسم الثاني، أي العظات التاسعة عشرة حتّى الرابعة والعشرين، هي العظات التي يُطلق عليها لقب «الأسراريّة». يخاطب فيها القدّيس كيرلّس المستنرين حديثًا، مركّزًا توجيهاته على أسرار الدخول إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة، أي المعموديّة ومسحة الميرون المقدّس والإفخارستيّا.

تحتلّ المعموديّة المكانة الأولى في تعليم قدّيسنا، وذلك بديهيّ إذ إنّ غالبيّة عظاته موجّهة إلى المُقبلين على المعموديّة. لقد توسّع في شرحه لمعنى المعموديّة، مثلما عرض لها الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية؛ فجرن المعموديّة صورة للقبر الذي دُفن فيه الربّ بعد إنزاله عن الصليب، والتغطيس الثلاثيّ دلالة على موت المسيح الثلاثيّ الأيّام. إذًا المعموديّة موتٌ ودفنٌ وقيامةٌ من بين الأموات. لذا، نرى القدّيس كيرلّس يشدّد على رمزيّة الموت والحياة في مياه المعموديّة، فيشبّهها بالأمّ التي تعطي الحياة: «إنّكم دُفنتم ووُلدتم في آنٍ معًا. مياه المعموديّة قبرٌ وأمٌّ في آنٍ معًا. كتب سليمان قائلاً: للولادة وقت وللموت وقت (جا ٣ :٢)، لكن بالنسبة إلينا عكس ذلك صحيح، وقتُ الموت هو نفسه وقت الولادة». يستعيد القدّيس كيرلّس ما قاله بولس الرسول عن أنّ لا سلطان للموت على الإنسان بعدَ أن يعتمد، ذلك لأنّ الإنسان يموت مرّةً واحدة في المعموديّة، ويحيا إنسانًا جديدًا على صورة المسيح الناهض من بين الأموات.

يدعو القدّيس كيرلّس سرّ الميرون المقدّس «مسحة المسيح» التي بها ينال المؤمنون مواهب الروح القدس، فيقول: «ها إنّكم اعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح (غل ٣: ٢٧)، فأصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله (رو ٨: ٢٩). إنّكم أصبحتم مُسحاء بتلقّيكم ختمَ الروح القدس... بهذا الدّهن (الميرون) مُسحتَ رمزيًّا على جبينك وسائر حواسّك، وفي الوقت الذي يُمسح فيه جسدُك بالدّهن المنظور تُقدَّس نفسُك بالروح القدس المحيي».

يؤكّد القدّيس كيرلّس على أهمّيّة سرّ الإفخارستيّا، فيركّز على حقيقة حضور الربّ في القرابين المقدَّمة، تاليًا على حقيقة اتّحادنا به من خلال تناولنا جسده ودمه: «لنتناول جسد الربّ ودمه بثقة، لأنّنا أُعطينا جسدَه في شكل الخبز ودمَه في شكل الخمر. إذ نتناول جسده ودمه نصبح معه جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا. هكذا نصبح حَمَلَةَ المسيح». يستشهد قدّيسنا ببطرس الرسول في رسالته الثانية (١: ٤) بأنّنا نصير «شركاء الطبيعة الإلهيّة» بواسطة المناولة. القدّيس كيرلّس مثالٌ لكلّ مؤمن، إذ كان رجل سلام، وديعًا متواضعًا. لم يساوم قطّ على إيمانه، لكنّه في الوقت نفسه أحبّ الكلّ واتّبع قول الرسول بولس: «صرت للكلّ كلَّ شيء لأخلّص على كلِّ حال قَومًا» (١كو ٩: ٢٢). ألا أهّلَنا اللهُ، بشفاعة قدّيسه كيرلّس، لأن نحتذي مثاله ونكون بدورنا مثالاً لمؤمنين كثيرين.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

وكملكٍ سخيٍّ يوزّع على خدّامه إنعاماته الروحية.

في شخصك، في حرّيتك، كن شهيداً وقاضياً، كنْ مراقبَ نفسك. لقد أدّى الشهداء الشهادة نهاراً، وأمّا النسّاك فأثناء الأسهار. لقد سَرَد المتفرّجون إنتصاراتِ لشهداء قدّام الملوك، أمّا «ابنُ الملك» فقد رسمَ الوعود المقطوعة للأبرار كما للشهداء. لقد كُلّل الشهداء في النار، واليقظون في الأسهار. السيف إنّما جعل الشهداء ذائعي الصيت، وكذلك خدمةُ الصلاة بالنسبة إلى النسّاك. لقد عانى الشهداء الجوع، والنسّاك الشَجَن. لقد عُذّب الشهداء بالعطش، والتائبون بالتقشّفات. لقد كابد الشهداء العذابات، والنسّاك مارسوا التوبة. لقد ربح الشهداء الملكوت بثباتهم، والعذارى بعفّتهنّ. أجساد الشهداء إنّما ضُربت بالعِصيّ قدّام الحكّام لأجل الرجاء، فيما أعضاء النسّاك اليقظين قد قُتلت بالأسهار لأجل المواعد. لقد هزم الشهداء مضطهِديهم، وأمّا صناديد القفز فقد هزموا التجارب. لقد رأى المتفرّجون صراعات الشهداء في المدرّجات، وأمّا الله فيراكم سرًّا تنتصرون.

القديس أفرام السرياني